Azhar Ahmad Hamdan AL-TAMIMI¹

HISTORIAN METHODOLOGY AI-TABARI'S MODEL

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.5-3.32>

Research Article

Received:

20/04/2021

Accepted:

13/05/2021

Published:

01/06/2021

This article has been
scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

Muslims have been interested in the science of history to preserve their genealogy, and the news was first narrated verbally, narrated by its owners about those who saw it, participated in it and saw it from other narrators who contacted its early origins through contemporary, and the Muslims' need for history increased after the migration and took the immigration incident as the beginning of the history of the state of Islam and adopted the lunar calendar. In the Arab months, scholars emerged who were most interested in setting the rules and conditions that must be taken into account when dealing with any historical event. The Islamic approach to dealing with the events of Islamic history stems from Islam's perception of the universe, life and man. It is based on the pillars of faith in the Islamic religion and is based on an understanding of behavior in the first Islamic society. The works and curricula of historians and researchers are based on adherence to the Islamic faith. Each scientist has special rules and foundations. In the methodology of the research and that the choice of the subject of the research or study must be new that has not previously been touched upon and that it be a problem that has its real existence in the past reality and that it has its meaning and significance in relation to the total historical history and that they seek to collect reliable sources and then work to verify these documents. Imam al-Tabari is considered a note from among the leaders of Muslims who established a sound methodology in tracking news and narrations to verify accidents and traffic.

Key words: Historians, Altabari, Characteristics of Historians' Methodology, Historical Criticism.

¹ Dr. , Sultanate of Oman, basrah50@hotmail.com, <https://orcid.org/0000-0001-7381-0184>

منهج المؤرخين الطبري نموذجاً

أزهار أحمد حمدان التميمي²

الملخص

لقد اهتم المسلمون بعلم التاريخ لحفظ انسابهم وكانت الأخبار تروى أول الأمر مشافهة يروونها أصحابها عن الذين شاهدوها وشاركوا فيها ويرونها عن رواة آخرين اتصلوا بأصولها الأولى عن طريق المعاصرة، وزادت حاجة المسلمين للتاريخ بعد الهجرة واتخذوا حادث الهجرة بداية لتاريخ دولة الإسلام واعتمدوا على التقويم القمري، وأخذوا بالأشهر العربية وبرز علماء كان جل اهتمامهم بوضع القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي.

إن المنهج الإسلامي في تناول أحداث التاريخ الإسلامي منبثق من تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان فهو يقوم في أساسه على أركان الإيمان في الدين الإسلامي ومبني على فهم السلوك في المجتمع الإسلامي الأول وأن أعمال ومناهج المؤرخين والباحثين يبني على أساس من الالتزام بالعقيدة الإسلامية ولكل عالم قواعد وأسس خاصة في منهجية البحث وأن اختيار موضوع البحث أو الدراسة يجب أن يكون جديد لم يتطرق إليه سابقاً وأن يكون مشكلة لها وجودها الحقيقي في الواقع الماضي ولها معناها ومغزاها بالنسبة لمجموع السير التاريخي العام وأن يسعوا إلى جمع المصادر الموثوقة ثم العمل على التأكد من هذه الوثائق ويعتبر الإمام الطبري علماً من أعلام المسلمين الذين أسسوا المنهجية السليمة في تتبع الأخبار والروايات للتحقق من الحوادث والسير.

الكلمات المفتاحية: المؤرخين، الطبري، خصائص منهج المؤرخين، النقد التاريخي.

المقدمة:

اهتم المسلمون بعلم التاريخ لتسجيل سيرة نبيهم وغزواته، وترجع بداية معرفة المسلمين بالتاريخ بحفظهم لأنسابهم، وروايات القصص عن أيام العرب قبل الإسلام، وزادت حاجة المسلمين للتاريخ بعد الهجرة وبعد أن أصبح لهم دولة عاصمتها المدينة المنورة، واتخذوا الهجرة بداية لتاريخ دولة الإسلام، وكانت الأخبار تروى أول الأمر مشافهة، ثم دونت هذه الأخبار الشفوية في رسائل على هيئة كتب، وتابع المؤرخين مناهج متباينة في كتابة التاريخ.

أهمية البحث: تكمن في التعرف على منهج المؤرخين في كتابة التاريخ وماله من أثر في حفظ سيرة الإسلام عملاً وتطبيقاً، وحفظ أنساب العرب.

أهداف البحث: تعميق فهمنا لبعض جوانب موضوعات الدراسة بما يحقق إثراء العلم بالحقائق والتعريف بقواعد البحث العلمي ومناهجه وطرق تصميمه، والمساعدة في استنباط المبادئ والقوانين العلمية وصياغة الأحكام.

هيكل البحث: احتوى البحث إضافة إلى المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع النحو الآتي:

- المبحث الأول: مفهوم منهج المؤرخين وأهميته ومصادره.
- المبحث الثاني: خصائص منهج المؤرخين.
- المبحث الثالث: خطوات منهج التاريخ عند المؤرخين المسلمين.
- المبحث الرابع: منهج الطبري.

المبحث الأول: مفهوم منهج المؤرخين وأهميته ومصادره.

أولاً: مفهوم منهج المؤرخين: يعني القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي، وتتناول هذه الشروط الكاتب أو المتكلم نفسه، والمصادر التي يستمد منها معلوماته، كما أنها تعني الهدف من الكتابة أو الدراسة، والأسلوب والمصطلحات (عثمان، حسن، 1964م، ص 41).

ثانياً: أهمية منهج المؤرخين: يعطي المنهج مدلولين، يختص الأول بالمبادئ والأسس التي يضعها الإسلام لتكون حدوداً تحكم دراسة التاريخ الإسلامي، ويحتاجها عند تفسير الواقعة التاريخية المعينة والحكم عليها، ويختص الآخر بالقواعد

² د.، سلطنة عمان، basrah50@hotmail.com

والطرق التي تُتبع في إثبات الحقائق والوقائع التاريخية، ويُحتاجها في إثبات صحة الواقعة موضوع الدراسة، ثم تفسيرها بعد ذلك، وبناء على هذا، فإن الباحث يحتاج نوعين من المصادر: النوع الأول: مصادر في طرق إثبات الحقائق والوقائع التاريخية، والنوع الثاني: مصادر في تفسير وتحليل الحوادث التاريخية والحكم عليها.

ثالثاً: مصادر منهج المؤرخين: لقد تأثرت الكتابة المنظمة للتاريخ في الفترة الإسلامية بمنهج البحث في الحديث النبوي الشريف، ذلك أن المحدثين وضعوا قواعد متشعبة للتأكد من المتن والسند لكل رواية من روايات الحديث النبوي ويطلق على هذه القواعد (علم الجرح والتعديل)، (الصالح د. ت، ص 126)، لتأكد من صحة المرويات، واتباعوا منهجاً دقيقاً، والمصادر المهمة في هذا الجانب هي: كتب مصطلح الحديث، كتب في علم الرجال، كتب في علم الجرح والتعديل، كتب في علم علل الحديث النبوي، وتظهر أهمية هذه الكتب للمؤرخ لتعيينه على نقد الروايات والترجيح بينها ومعرفة صحيحها من سقيمها (عطا، 2008م، ص 55)، وظهر نخبة من المحدثين المؤرخين المهتمين بالسيرة والتاريخ الإسلامي (شليبي، 1999م، ص 97)، والذين أكدوا على مغازي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يصل إلينا غير ثلاث كتب هي: سيرة ابن إسحق إما مباشرة أو عن طريق ابن هشام ومغازي الواقدي والطبقات الكبرى لابن سعد ويلاحظ تطور واضح في الكتابة التاريخية من خلال قراءة هذه الكتب ففيها دقة في استعمال الأسانيد التي تعود إلى شاهد عيان، كما يلاحظ بروز ملكة النقد لدى المؤلف من خلال الرواة وترجيح بعض الروايات على غيرها، ويلاحظ الأمانة في نقل الخبر (فوزي، 2004م، ص 52-53).

رابعاً: مصادر تفسير الحوادث والحكم عليها: لما كان منهج كتابة التاريخ الإسلامي يعتمد في أصوله على العقيدة الإسلامية لذا يمكن القول بأن مصادر هذا المنهج هي نفس مصادر الشريعة: الكتاب الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس ففي مجال تفسير الحوادث التاريخية فإنهم كانوا يرجعون إلى روايات بعض الأشخاص الذين شهدوا الحوادث، ويقارنون بينها، وينقدونها، ويستخلصون منها ما يمكن الوصول إليه من الحقائق التاريخية على أن هذه الطريقة لا تكون سليمة دائماً لتعرض الروايات الشفوية للتحريف والتغير وإن كان تدوين الروايات الشفوية من شأنه أن يوقف، في الغالب، ما يكون قد دخل عليها من التغير عند الحد الذي سجلت فيه (عثمان، 1964م، ص 70-71).

المبحث الثاني: خصائص منهج المؤرخين.

أولاً: خصائص منهج المؤرخين: 1- إن الفكر الإسلامي التاريخي اتجه أساساً إلى سرد الوقائع والأحداث من خلال الرصد أو الرواية المسندة، مستفيداً من علم الحديث.

2- إن كلمة " التاريخ " تعني في المعجم الغاية والوقت الذي ينتهي إليه كل شيء، وبذلك يتصل المعنى بحركة الزمن المرصودة وليس بالحكاية الأسطورية (البطانية، 1984م، ص 79).

3- الغاية النبيلة من كتابة التاريخ كعلم، ويندرج ذلك في إطار العلوم جميعاً كعمل يتقرب به صاحبه إلى الله وكأنه شكل من أشكال العبادة، وليس عملاً نفعياً يتوخى مصلحة آنية (عطا، 2008م، ص 62).

4- بروز التخصصات الدقيقة في الدراسات التاريخية: قديمة – حديثة، مشرقية – أندلسية، حضارات: مصر القديمة، بابل، بلاد الشام، المغرب، الحركات الإسلامية – الشعبية، تاريخ الأدب، التاريخ الاجتماعي، علم الآثار، التراث غير المادي (الحجي، 1981م، ص 17).

ثانياً: قواعد المنهج العلمي الموضوعية عند المؤرخين المسلمين: ونستطيع أن نلخص سمات أو أصول أو قواعد هذا المنهج بما يلي، استخدام الأدلة والوثائق بعد التأكد من صحتها، وذلك بإتباع التنظيم الملائم للأداة مع تحرير المسائل وحسن عرضها، والإيمان بكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، ومن ذلك: الإيمان بالغيب والجزاء والقضاء والقدر، وردُّ كل ما خالف ذلك (رحائم، 2001م، ص 110)، وتحري الصدق في استقصاء جميع الروايات والأدلة حول الحدث الواحد وإيرادها، ثم الجمع بينها إذا أمكن ذلك، أو الترجيح بين الروايات المختلفة وفقاً للقواعد المقررة في التحقيق، مع الاستعانة بأقوال العلماء الثقات (حتى، 1961م، ص 75)، واعتماد المصادر الشرعية والأصلية وتقديمها على كل مصدر، إذ يجب على الباحث المسلم أن يعتمد على القرآن الكريم ويعتبره مصدراً أساسياً في استقاء معلوماته عن الأنبياء والأمم السابقة وسيرة الرسول لأن القرآن الكريم قطعي الثبوت، ويأتي بعده الحديث النبوي في قوة الثبوت واتباع علماء الحديث منهجاً علمياً دقيقاً في تدوين السنة (عثمان، 1964م، ص 48)، والتجرد من الأهواء المذهبية أو العنصرية أو القومية أو السياسية، فهناك قاعدتان أساسيتان يجب ألا يغفل عنهما المؤرخ وهما: أولاً: النزعة المذهبية للمؤرخ. فمن كان متعلقاً بمذهب وفكرة معينة، فهو، لا شك، سيحاول أن يدخل جميع ما يخدم هذه الفكرة، ولم ينح من هذا الخط إلا القليل (عطا، 2008م، ص 69).

ثانياً: النزعة السياسية للمؤرخ: يرغب المؤرخ في الغالب إلى تلوين الأحداث ووضعها بما يخدم نزعته السياسية، ويرضي القائمين على هذه النزعة، وهنا يجب على دارس التاريخ أن يحدد النزعة السياسية للمؤرخ الذي يريد أن يأخذ منه،

ومدى قربه أو بعده من الحاكم ومدى صداقته وعداوته له فلا بد من التمهيص، وهذا يعني وجوب أن يكون المؤرخ عادلاً (الحجي، 1981م، ص 17).

المبحث الثالث: خطوات منهج التاريخ عند المؤرخين المسلمين:

إذا ما جرت موازنة خطوات المنهج العلمي للبحث التاريخي الحديث، مع ما كان يقوم به المؤرخون العرب، اتضح المنهج الذي ساروا عليه، ومدى علميته (عثمان، 1964م، ص 58).

الخطوة الأولى: اختيار موضوع الدراسة أو البحث: ففي هذا المجال من المعروف أن من الشروط العلمية الأساسية التي يجب توافرها في الموضوع المختار أن يكون جديداً لم يُتطرق إليه سابقاً، وأن يكون مشكلة لها وجودها الحقيقي في الواقع الماضي، ولها معناها، وإذا جرى تتبع الموضوعات التي عالجه التاريخ العربي منذ نشأته حتى نضجه، فإنه يلاحظ أنها كانت تتوافر فيها تلك الشروط، وأن الموضوعات التي خصّها المؤرخون بدراساتهم، وتأليفهم، كانت بصفة عامة دوماً جديدة ويبدو هذا واضحاً في تنوع الفنون التاريخية التي طرقتها، وفي تدوينهم الدؤوب لأحداث عصرهم (فروخ، 1970م، ص 78).

الخطوة الثانية: جمع المصادر: لقد نشأ علم التاريخ عند المسلمين فرعاً من علم الحديث، فمن الحري أن يتأثر بطريقة جمع الحديث ونقده، وأسلوب تدوينه (رحائم، 2001م، ص 119)، والمؤرخون في جمعهم للخبر، كما في جمعهم للحديث، سعوا إلى المصادر الموثوقة، وإن كانت في بادئ الأمر مستندة إلى الرواية الشفوية في معظمها، وكان المصدر الموثوق لديهم هو الشخص العدل، الذي له علم مباشر بالواقعة المروية، كأن يكون قد عاينها مباشرة، أو اشترك فيها، أو أخذها من مظانها الأولى: كالرواة الأول الثقات - أو كتاب قديم - أو وثيقة مفقودة (الحجي، 1981م، ص 28)، ومن ثم، كان المؤرخون في بحثهم للوقائع التاريخية، يجوبون مختلف البقاع ليحصلوا على المعلومات الصحيحة من أناس عاصروهم وشهدوهم، أو من مستندات مدونة سمعوا بوجودها، أو تعرّف مكان الحدث ذاته بصفته مصدراً أساسياً (عثمان، 1964م، ص 74)، ولا بد من التأكيد هنا، بأن عدداً من المؤرخين قد أولى المكان في دراساته التاريخية اهتماماً كبيراً، ونظر إليه مصدراً ذا شأن، فربط بذلك بين الجغرافية والتاريخ، واعتمد بعض المؤرخين أيضاً ضمن مصادرهم على النقوش الكتابية المدونة على الأبنية، كما استند آخرون إلى النقوش على الأختام (فروخ، 1970م، ص 80)، ويمكن القول، إن المؤرخين قد استخدموا مختلف العلوم والمعارف مصدراً لكتاباتهم التاريخية، أي إنهم وسّعوا مفهوم المصدر التاريخي، وقد أكد ابن خلدون هذا المضمون الجديد للمصدر التاريخي عندما قال في مقدمته بقوله: "إن المؤرخ يحتاج إلى مأخذ متعددة، ومعارف متنوعة (رحائم، 2002م، ص 123)، وفي القرون الأولى للتدوين التاريخي، استخدموا الإسناد كما في الحديث الشريف، فكل واقعة يذكرونها إلى روايتها حتى يوصلوها براويها الأول الذي هو شاهد عيان، وبذلك كانوا أمناء جداً في نقل الأخبار، والاعتراف بأصحاب النصوص التاريخية المأخوذ عنها، لأن قسم من هؤلاء المؤرخين كانوا محدثين أيضاً (فوزي، 2004م، ص 53).

الخطوة الثالثة: النقد التاريخي: إن الطريقة النقدية هي العماد الأول في المنهجية العلمية للبحث التاريخي المعاصر وقد أخذ بها المؤرخون منذ النشأة الأولى لعلم التاريخ لديهم، فقد بين القرآن الكريم في آيات كثيرة، ضرورة إعمال العقل في ما يرى الإنسان ويسمع، وأكد مفهوم البيئة، والحجة، والبرهان، ووجوب التثبت من الخبر (فروخ، 1970م، ص 83)، واتجه المسلمون الأوائل إلى التحقق مما يروى من أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولا سيما بعد أن تزايد الوضع فيها زوراً وبهتاناً وأوجد علماء الحديث تدريجياً قواعد نقدية للتمييز بين الصحيح والموضوع من الأحاديث (عثمان، 1964م، ص 141)، واتباع المؤرخون تلك القواعد نفسها للتحقق من صحة الخبر، وأطلق على هذا النهج النقدي التجريح والتعديل، ويتلخص في دراسة شخصيات الرواة دراسة تفصيلية، فيحيطون بتاريخ ميلادهم ووفاتهم، ودقائق سيرة حياتهم، ورحلاتهم، وحجهم بصفة خاصة، ومدى تكامل صفاتهم الجسمانية، والعقلية، وثقافتهم الدينية، وأخلاقهم، وسلوكهم في معاملاتهم الحياتية، وميولهم الفكرية، والسياسية والدينية، ومدى تحيزهم لقوم ما، أو لمذهب ديني، أو فرقة سياسية، أو حاكم، أو غير ذلك من الأمور وكانوا يخرجون من تلك الدراسة، إما بتجريح الراوي، أي ببيان عيوبه الشخصية التي تجرده من صفة العدالة، أي الاستقامة والثقة به، فيوجه الطعن إليه، أو بتعديله، أي بإيضاح مزاياه التي تثبت أنه إنسان عدل، أي أهل للثقة والتصديق، ككونه عالماً نقي النفس، سليم السريرة، صادقاً، وورعاً، ومستقيماً في أخلاقه وسلوكه (الحجي، 1981م، ص 35)، إن هذا النهج النقدي، هو ما يقابل اليوم في المنهجية العلمية للبحث التاريخي، أو ما يسمى أيضاً بنقد المؤلف (عثمان، 1964م، ص 83)، ولم يقتصر المؤرخون في نقدهم للخبر على التجريح والتعديل فقط، وإنما اعتمدوا أيضاً طريقة الموازنة بين مصدرين للمعلومات، والموازنة الزمنية بين خبرين وتمكنوا بذلك من إظهار زيف بعض الوثائق والأخبار (عثمان، 1964م، ص 140-141).

الخطوة الرابعة: التركيب في المنهجية التاريخية الإسلامية: لقد أشير سابقاً إلى الطرق التي اتبعها المؤرخون والمسلمون في تركيبهم الكلي للحقائق التاريخية: كأن يسوقوها مساق القصة حول شخصية ما، أو حول عدد من الشخصيات، أو حول

مدينة أو إقليم، أو حوادث معينة كالغزوات والفتوح، أو أن يتركوها متفرقة لا يجمعها سوى الزمن الواحد، وهو السنة) رحائم، 2001م، ص133)، ولكن جمع الأحداث في وحدة زمنية قد تكون عاماً أو بضعة أعوام، أو تركيبها بالطرق المذكورة آنفاً، هو خطوة أولى في عملية التركيب التاريخي إذ إن هذا الأخير يقوم على ربط تلك الأحداث بعضها ببعض ربطاً سببياً (السرجاني، 2007م، ص574)، وهذا ما عناه ابن خلدون عندما عرّف التاريخ بقوله: "أما بعد، فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال ... إذ هو في ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق في القرون الأولى... وهو في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق" (ابن خلدون، 1957م، ص20)، وفي الحقيقة، يتفاوت المؤرخون في تقصيصهم للأسباب، وفي تفسيرهم للحوادث، إلا أنهم أدركوا في الجملة أهمية العوامل الاقتصادية، والجغرافية، والنفسية، والاجتماعية، والفكرية، في دفع الأحداث والتأثير في حياة البشر (الدفاع، 1995م، ص43)، وسعى بعضهم لتكوين تركيب فلسفي لمعنى التاريخ ككل، ومن هؤلاء المُطَهَّر بن طاهر المقدسي في مقدمة كتابه "البدء والتاريخ"، وأبو طالب عبد الجبار الأندلسي في أرجوزته التاريخية.

الخطوة الخامسة: أسلوب المؤرخين في الصياغة والأداء: كتب معظم المؤرخين مؤلفاتهم بلغة عربية بيّنة وبلغية، ومصوّرة بوضوح ما يريدون تبليانه، دون إدخال الصناعة الأدبية فيها، إلا أن هذا لا ينفي استخدام بعض المؤرخين التلميذ البلاغي، ومنها السجع ويلاحظ هذا بصفة خاصة، عندما دخل هذا الأسلوب في الأدب العربي، منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وقد استخدم هذا الأسلوب في تراجم الإطراء التي يدونها بعض المؤرخين الرسميين للأمراء، والسلاطين، والملوك (فروخ، 1970م، ص90)، واستخدم بعض المؤرخين الشعر أيضاً في مؤلفاتهم، وقد دخل الشعر في محتوى التأليف التاريخي منذ القرون الأولى لتدوينه، لا لعرض الحوادث التاريخية، وإنما لطرح أقوال بعض الشعراء في معركة مثلاً، أو في شخصية، مدحاً أو هجاءً أو رثاءً، أو غير ذلك من الأمور (الدوري، 2000م، ص42)، وفي الحقيقة يتباين أسلوب كل مؤرخ عربي عن الآخر، إلا أن أسلوب الأغلبية كان واضحاً ويحيط بالحقيقة التاريخية ويرزها.

المبحث الرابع: منهج الطبري:

الطبري وبيئته العلمية: اسمه محمد بن جرير (ابن النديم، 1980م، ص291؛ الخطيب البغدادي، د. ت، ص162؛ ابن الجوزي، 1995م، ص215) وكنيته أبو جعفر (ياقوت، 1993م، ص423)، ولم يكن هناك خلاف حول شهرته بالطبري (ابن خلكان، 1968م، ص191؛ الذهبي، د. ت، ص279) نسبة إلى طبرستان (ياقوت، 1955م، ص409-417)، ولد الطبري سنة أربع وعشرين ومائتين (224هـ/838م) في مدينة أمل، وقد نشأ في كنف والده الذي كان حريصاً على تلقينه العلم بعد أن رأى فيه ملامح الذكاء، فجلس إلى العلم بطبرستان، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وكتب الحديث وهو ابن تسع (ياقوت، 1993م، ص430)، وأراد أن يرحل في طلب العلم فكان له ذلك في سن مبكرة، إذ رحل وهو ابن اثني عشر عاماً فقط (ياقوت، 1993م، ص430)، ويبدو أن تطوافه العلمي بين الأمصار الإسلامية بدءاً بطبرستان ثم بغداد والبصرة والكوفة، ثم الشام ومصر مكنه من جمع العلم من مظاهره الأولى (الخطيب البغدادي، 1975م، ص424، 430-431)، وكان لشيوعه من محدثين وفقهاء ولغويين وإخباريين ومؤرخين دور في تكوين شخصيته العلمية، فغدا للطبري باع في علوم القرآن والفقه واللغة والشعر، وفي التاريخ وأيام الناس وأخبارهم، بل أنه عد ثقة وتاريخه من أصح التواريخ (ابن النديم، 1980م، ص234؛ ياقوت، 1993م، ص521-523)، وقد كان القفطي محقاً في وصفه للطبري: "بالعالم الكامل، الفقيه المقرئ، النحوي اللغوي، الحافظ الإخباري، جامع العلوم... (القفطي، 1952م، ص89)، والطبري في ذلك مثل صادق لعصره، ذلك العصر الذي شهد حالة من الارتقاء الثقافي والازدهار الحضاري، بلغت ذروتها في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد (ابن خلدون، 1957م، ص383)، وقد أفادت البيئة العلمية من قيام الدويلات وتعدد العواصم إلى جانب بغداد، والتنافس فيما بينها على استقطاب العلماء والادباء ورعايتهم فاشتهرت مراكز العلم في الري وأصفهان، ونيسابور، وشيراز، وهمذان، وبخاري، وحلب (الثعالبي، 1983م، ص485)، لابل وامتد تأثير هذه المراكز إلى الجناح الغربي للعالم الإسلامي آنذاك وقد خلق هذا التنافس بين المراكز حركة علمية نشطة، أضفى الحكام عليها قدراً من الحيوية والنشاط سواء من كان منهم محباً للعلم وأهله، أو من كان مشجعاً لها (ابن سعد، د. ت، ص440-441؛ المسعودي، 1958م، ص90).

أخلاقه ومواقفه: كان الطبري من العلماء العاملين، فقد رزق حسن الخلق والجراة في الحق والتواضع، كان ثقة صادقاً حافظاً رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف" ومما يروى من سيرته أنه لما دخل بغداد وكان معه بضاعة يتقوت منها فسرقته، فأفضى به الحال إلى بيع ثيابه، فقال له بعض أصدقائه: اتعمل لتأديب ولد الوزير أبي الحسن عبد الله بن يحيى بن خاقان، قال نعم، فمضى الرجل فأحكم عليه أمره وعاد فأوصله إلى الوزير بعد أن أعاره ما يلبسه فقربه الوزير ورفع مجلسه، وأجرى عليه عشرة دنائير في الشهر، فاشترط عليه أوقات طلبه العلم والصلوات والراحة،

وسأل إسلافه رزق شهر ففعل، وأدخل حجرة التأديب، وخرج إليه الصبي، فلما كتبه أخذ الخادم اللوح ودخلوا مستبشرين، فلم تبق جارية إلا أهدت له صينية فيها دراهم ودنانير، فردّ الجميع وقال: قد شورت على شيء فلا أخذ سواه، فدرى الوزير ذلك، فسأله فقال: هؤلاء عبيد وهم لا يملكون، فعظم ذلك في نفس الوزير وكان الطبري لا يقبل أعطيات الأمراء، والتمس منه وزير أن يضع له كتاباً في الفقه فألف كتاب الخفيف، فأرسل إليه ألف دينار فردّها (العكاوي، 1996م، ص 17).

مؤلفاته ومكانته العلمية: كان الطبري جامعاً لعلوم الشريعة من قرآن وتفسير ونحو وفقه وعقيدة وتاريخ، وشهد له بهذا عدد من العلماء، ومن أهم مؤلفاته كتابه في التفسير "جامع البيان عن تأويل آيات القرآن" (تفسير الطبري)، ومما يروى عنه أنّه قال لأصحابه: تنشطون لتفسير القرآن، قالوا: كم يكون قدره، فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختره في ثلاثة آلاف ورقة (الأشقر، 1990م، ص 13)، وقال السيوطي عنه: رأس المفسرين على الإطلاق، وقال عن تفسيره: هو من أجل التفاسير، لم يؤلف مثله (السيوطي، 1964م، ص 267)، وأمّا في علم الحديث: فقال عنه الخطيب البغدادي: إنّ كان عالماً بالسنن وطرقها.... إلى أن قال: وله كتاب سمّاه "تهذيب الآثار" لم أر سواه في معناه إلا أنّه لم يتمّه (الخطيب البغدادي، 1975م، ص 71)، وقال ابن خلكان: إنّ كان إماماً في الحديث وكان ثقة في نقله وتاريخه أهمّ التواريخ وأثبتها (ابن خلكان، 1968م، ص 74-75)، وأمّا في الفقه: فكان إماماً مجتهداً لم يقلّد أحداً وله مذهب خاص به يدعى المذهب الجبري، ومن كتبه الفقهية: "لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام" وقد دَوّن فيه مذهبه (عطا، 2008م، ص 77)، وفي التاريخ ألف كتاباً ضخماً يعد من أكبر الموسوعات التاريخية الإسلامية، وقد وسمه بـ "تاريخ الرسل والملوك" الذي يعد أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب، أقامه على منهج مرسوم، وساقه في طريق استقرائي شامل، بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة أكمل ما قام به المؤرخون قبله، كاليعقوبي والبلاذري وابن سعد، وهد السبيل لمن جاء بعده، مثل ابن الأثير وابن خلدون وغيرهما (فوزي، 2004م، ص 84).

وفاته: عاد إلى بغداد بعد رحلة طويلة، وعزم على أن ينقطع للدرس والتأليف وأن يمتنع عن كل ما يصرفه عنهما ثم ابتنى لنفسه داراً برحبة يعقوب في بغداد، وزع فيها نفسه بين العبادة والقراءة والإملاء والتصنيف، وعاش بها رضي النفس مرموق المحل مهيباً من الخلفاء والولاة، رفيع المنزلة والمكانة (فوزي، 2004م، ص 82) إلى أن توفي يوم السبت الثامن والعشرين من شهر شوال سنة (310هـ/922م) ودفن يوم الأحد بالغداة في داره (ابن النديم، 1980م، ص 291؛ ابن الأثير، 1998م، ص 7-10)، قال الخطيب في تاريخ بغداد: " واجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم إلا الله وصلى على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب " (الخطيب البغدادي د. ت، ص 165).

منهج وأسلوب الطبري.

1- استعرض الطبري الأحداث وقدم الروايات متبّعاً أسلوب التسلسل الحولي (فوزي، 2004م، ص 74).
2- يقدم رواياته عن الأحداث موزعة على السنوات فيتخذ عنواناً لكل حدث في كل سنة ثم يسرد تفاصيلها بدقة (الطبري، 1961م، ص 412-458)، وفي حال لم ينته ذكر الحدث في أخبار تلك السنة، فيتمه في أخبار السنة التي تليها، فيقول مثلاً في خبر بناء بغداد سنة (145هـ/762م): "وفي هذه السنة أسست مدينة بغداد وهي تدعى مدينة المنصور" (الطبري، 1961م، ص 614)، ويسرد أخبارها ووصفها، ثم يكمل أخبارها في حوادث سنة (146هـ/763م) فيقول: "فمما كان فيها من ذلك استتمام أبي جعفر مدينة بغداد" (الطبري، 1961م، ص 429).

3- قد يكتفي الطبري بذكر حدث واحد في السنة الواحدة، وما يقع من تفاصيل هذا الحدث في تلك السنة (الطبري، 1961م، ص 466-467)، وأحياناً قد تقتصر السنة على سرد جملة من الأحداث يوردها بإيجاز ودون تفاصيل (الطبري، 1961م، ص 459-460)، وبالمقابل يحرص الطبري على ذكر أسماء عمال الولايات أو أمراء الحج في نهاية أخبار كل سنة، أو قد يذكرهما معاً (الطبري، 1961م، ص 473)، ويذكر أحياناً في نهاية أخبار كل سنة من توفي من الخلفاء، أو العمال في الإدارة (الطبري، 1961م، ص 470، ص 511).

4- يعتمد الطبري في معالجة الأحداث ويلاحظ أن الطبري يعتمد في روايته عن الحدث الواحد على مصدر يعتبره أساسياً، ثم يكمله بروايات قد تتفق أحياناً أو قد تختلف أحياناً أخرى، وعندما يقارن بين هذه الروايات يستخدم عبارة "ذكر الخبر عن..." ثم يستعرض الروايات المختلفة بقوله: "حدثني فلان...، قال فلان..." وقال غير من ذكرت خبره... وقيل... (الطبري، 1961م، ص 479، ص 482، ص 490)، أو قد يستخدم تعبير "اختلف فيه..." ثم يستعرض الروايات بقوله: "حدثني..." أو قال بعضهم... "وأما الذي يحكى عن غيرهم..." وذكر في... قول غير هذين القولين (الطبري، 1961م، ص 9، ص 14، ص 19)، فإذا ما حدد موضع الاختلاف بين الروايات يقف عنده ليذكره، فإذا ما انتهى من ذكره، رجع إلى المصدر الأساسي ويقدم له بإشارة تدل على ذلك فيقول: "رجع الحديث إلى حديث فلان..." (الطبري، 1961م، ص 590-591، ص 499، ص 115)، ومن ناحية أخرى يضمن الطبري رواياته نصوصاً أدبية متنوعة، تليت في مناسباتها، وتكشف عن معرفة واسعة بعلوم الدين وعلوم اللغة فأورد عدداً من الأبيات

الشعرية (الطبري، 1961م، ص 456-457، ص 562، ص 565، ص 601-603)، والآيات القرآنية (الطبري، 1961م، ص 87، ص 88، ص 89)، وعددًا من الرسائل وخطبة واحدة (الطبري، 1961م، ص 566-571، ص 579، ص 558)، استشهد بها جميعاً لتوضيح بعض رواياته كونها تمثل الأحداث، وقد اعتنى الطبري ببيان مواقع بعض المسميات الجغرافية ذات الصلة بالأحداث فقدم توضيحات عن بعض القرى، أو عمل على توضيح موقع ما نسبة إلى موقع أشهر، فأضاف بذلك بعداً هاماً للأدب الجغرافي (الطبري، 1961م، ص 535، ص 626، ص 620).

5- وكان الطبري فقهياً ومحدثاً ومفسراً وقد ظهرت ثقافته في منهجه حيث حرص أشد الحرص على ذكر الأسانيد (سلسلة الرواة) لكل رواية تقريباً ضمنها كتابه معتبراً السند هو الحكم على الرواية (فوزي، 2004م، ص 81).

6- بدأ أبو جعفر (الطبري) تاريخه بذكر الأدلة على حدوث الزمان، وأول ما خلق بعد ذلك القلم وما بعد ذلك شيئاً فشيئاً، على ما وردت بذلك الآثار، ثم ذكر آدم، وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل، على ترتيب ذكرهم في التوراة، متعرضاً للحوادث التي وقعت في زمانهم، مفسراً ما ورد في القرآن الكريم بشأنهم، معرجاً على أخبار الملوك الذين عاصروهم وملوك الفرس، مع ذكر الأمم التي جاءت بعد الأنبياء حتى مبعث الرسول عليه السلام (الطبري، 1961م، ص 9).

أما القسم الإسلامي فقد رتبته على الحوادث من عام الهجرة حتى سنة ثلاثمائة واثنين، وذكر في كل سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة والأيام المشهورة، وترجع قيمة الكتاب إلى أنه قد استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال ونصوص الشعر والخطب والعهود، ونسق بينها تنسيقاً مناسباً، وعرضها عرضاً رائعاً رائعاً، ناسباً كل رواية إلى صاحبها، وكل رأي إلى قائله. كما أودع كتابه فصولاً صالحة وتنفاً متنوعة من متون الكتب التي أتت عليها عوادي الأيام وأورد من أقوال العلماء ما لا نجده إلا في هذا الكتاب ويحتل تاريخ الطبري مكانة عالية في نظر المؤرخين المحدثين فقد قال عنه هاملتون حب: "ذلك الصرح الشامخ الذي بلغ به التدوين التاريخي ذروته... ولا نجد بعده مصنفًا يأخذ على عاتقه من جديد جمع المواد عن تاريخ صدر الإسلام والنظر فيها، وإنما المصنفون بعده إما نقله للروايات من تاريخ الطبري (يكملونها أحياناً من كتب البلاذري) وأما مؤرخون يبتدئون من حيث انتهى الطبري (جب، 1964م، ص 156)، أما عبد العزيز الدوري فيقول عن كتاب الطبري أنه "يمثل قمة ما وصلت إليه كتابة التاريخ عند العرب وقد كان طالب علم لا يعرف الكلل، وعبر في كتابه عن فكرتين أساسيتين في التاريخ: وحدة الرسالات السماوية من جهة، وأهمية خبرات الأمة واتصالها عبر الزمن من جهة أخرى" (الدوري، 2000م، ص 55)، ومصادر الطبري في هذا التاريخ هي كل ما سبقه من المواد التي عرفها العرب من قبله وأخذ من كل متخصص في فنه، أخذ التفسير عن مجاهد وعمره وغيرهما، ممن نقل عن ابن عباس، ونقل السيرة عن إبان عثمان وعروة بن الزبير وشرحيل بن سعد وموسى بن عقبة وابن إسحاق، وروى أخبار الردة والفتوح عن سيف بن عمر الأسدي، حوادث يومي الجمل وصفين عن أبي مخنف والمدايني، وتاريخ الأمويين عن عوانه بن الحكم وأخبار العباسيين من كتب أحمد بن أبي خيثمة وأخذ أخبار العرب قبل الإسلام من عبيد بن شربة الجرهمي ومحمد بن كعب القرظي ووهب بن منبه، وأخبار الفرس من الترجمات العربية من كتب الفرس ولاسيما ابن المقفع وابن الكلبي (فوزي، 2004م، ص 86)، وأما الطريقة التي سار عليها الطبري في كتابه فهي طريقة المحدثين، والتي تتجلى بأن يذكر الحوادث مرورية، ملحقة إياها بالسند حتى يتصل بصاحبه لا يبيد في ذلك رأياً في معظم الأحيان، وهذه الطريقة التي سلكها في معظم الكتاب، وفيما عدا ذلك ينقل من الكتب، فيصرح باسم الكتاب أو ينقل عن المؤلفين من غير تعين الكتاب الذي نقل عنه (الزركلي، 1980م، ص 112).

الخاتمة

لقد اهتم المسلمون بعلم التاريخ لتسجيل سيرة نبيهم وغزواته، وترجع بداية معرفة المسلمين بالتاريخ بحفظهم لأنسابهم وبرز مجموعة من العلماء الذين كانوا لهم دور في وضع أسس ومنهج البحث وقد توصلت الدراسة إلى نتائج منها ما يلي:

- 1- كشفت الدراسة عن أهمية المعاينة والمشاهدة في كتابة التاريخ وما كانت تكلفة المعاينة والمشاهدة في ذلك الزمن من المشقة وعناء الرحلة.
- 2- بينت الدراسة مفهوم منهج المؤرخين، وأهميته، ومصادره، وخصائصه.
- 3- وضحت الدراسة قواعد المنهج العلمي الموضوعية عند المؤرخين المسلمين وضرورة تجرد المؤرخ من الأهواء المذهبية، أو العنصرية، أو القومية، أو السياسية.
- 5- كشفت الدراسة عن خطوات منهج التأريخ عند المؤرخين المسلمين والخطوات المتبعة في البحث
- 6- وضحت الدراسة القواعد التي اتبعها المؤرخون للتحقق من صحة الخبر وأطلق على هذا النهج النقدي التجريح والتعديل.
- 7- كشفت الدراسة عن منهج الطبري في الكتابة التاريخية حيث حرص على ذكر الأسانيد (سلسلة الرواة) لكل رواية.

8- بينت الدراسة رجوع الطبري إلى السجلات والوثائق المحفوظة في الدواوين في كتاباته التاريخية.

المصادر والمراجع

المصادر الأولية:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ/1232م).
الكامل في التاريخ، دار الفكر العربي، (بيروت، 1998م).
الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت429هـ/1038م).
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، (بيروت، 1983م).
ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ/1218م).
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ترجمة وتحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1995م).
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1070م).
تاريخ بغداد، (بيروت، د.ت).
5- الرحلة في طاب الحديث، تحقيق: نور الدين عز، (دمشق، 1975م).
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م).
المقدمة، (القاهرة، 1957م).
ابن خلكان، أبو عباس شمس الدين أحمد (ت681هـ/1281م).
وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، 1968م).
الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1346م).
تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، د.ت).
ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت230هـ/844م).
الطبقات الكبرى، (بيروت، د.ت).
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1504م).
تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة، 1964م).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م).
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، 1961م).
القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت646هـ/1248م).
أنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، (القاهرة، 1952م).
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م).
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة، 1958م).
ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج أبي يعقوب (ت380هـ/990م).
الفهرست، دار العلم للملايين، (بيروت، 1980م).
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1228م).
معجم البلدان، (بيروت، 1955م).
معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1993م).

المراجع الثانوية:

- الاشقر، عمر سليمان (ت1433هـ/2012م).
التاريخ الإسلامي بين الحقيقة والتزييف، (دار النفائس، 1990م).
البطائنة، محمد ضيف الله.
تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الفرقان، (عمان، 1984م).
جب، هاملتون.
دراسات في حضارة الإسلام، تحقيق: عباس نجم زايد، دار العلم للملايين، (بيروت، 1964م).
حتى، فليب.

- تاريخ العرب، دار الكشاف، (بيروت، 1961م).
الحجي، عبد الرحمن.
21- نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي دار الاعتصام، (بيروت، 1981 م).
الدوري، عبد العزيز.
نشأة علم التاريخ عند العرب، دار زايد للتراث والتاريخ، (دولة الامارات العربية المتحدة، 2000م).
رحائم، سعاد.
الحضارة الاسلامية، جذور وامتدادات، كتاب الأمة، (قطر، 2002م).
الزركلي، خير الدين بن محمد بن علي بن فارس.
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، (بيروت، 1980م).
السرجاني، راغب.
العلم وبناء الأمم، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، (القاهرة، 2007م).
شلي، أحمد.
موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة، (مصر، 1999م)، ط2، ج1.
الصالح، صبيح.
علوم الحديث ومصطلحه، (بيروت، د.ت).
عثمان، حسن.
منهج البحث التاريخي، منشأة المعارف، (القاهرة، 1964م).
عطا، عوض عبد الهادي.
منهج المؤرخين المسلمين في التأليف، مجلة الجامعة الإسلامية، (المدينة المنورة، 2008م).
العكاوي، رحاب.
موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1996م).
فروخ، عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن.
تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، (بيروت، 1970 م).
فوزي، فاروق عمر.
التدوين التاريخي عند المسلمين، دار زايد للتراث والتاريخ، (دولة الامارات العربية المتحدة، 2004